

الاسلام هو الاساس الشرعي للحكم في أي بلد إسلامي

الشيخ محمد الفزالي

خلال القرن الماضي كان العالم الاسلامي قد انتشر عقده ،
وركبت ريعه ، واعتقد خصومه أنهم أمام تركة ليس لها صاحب ،
وما عليهم الا أن يمدوا أيديهم ليأخذوا ما شاءوا .

والحق أن أمتنا كانت تعاني من أوضاع شائنة ، بل ان أحوالها
الثقافية والسياسية والحضارية بلغت الحضيض ، وفاحت روائح
العفن من أنظمة ولت عنها الحياة ، وتخلت عنها عناية الله ...

أما في الجانب الآخر من الارض فقد تغيرت الدنيا تغيرا حاسما
وأخذت الدول والشعوب طريقها صعودا الى القمة ، ووقع في
العالم « المسيحي » ما يستحق التسجيل ...

قديما أمر البابا بوقف الامبراطور أمام بابه ثلاثة أيام ذليلا
صاغرا لم يأذن له بالدخول الا بعد الاستسلام المطلق ، لكن
اختلاف الليل والنهار قلب الصفحة عن صورة جديدة ، فاذا
الانظمة المدنية تعملو وتزدهر ! وتقلص سلطان الباباوات ،
وانتصر العلم على الدين - أعني المسيحية - وقامت فلسفات
أخرى لها طابعها المادي وتفوقها الصناعي ، وجاء دور آباء

الكنيسة ليقفوا أمام باب الامبراطور فى شارته الحديثة ، وكان
الامبراطور المنتصر واسع الذكاء ، فلم يفكر فى الثأر مما وقع
له قديما ، بل قرر الاستعانة برجال الدين فى خدمة أغراضه ،
وتحقيق مآربه ...!

واذا الكل يتكاتفون على مواجهة العالم الاسلامى ، ويسارعون
الى وضع اليد على الكيان الذى أضناه الاعتلال والاختلال ...!

لم تحمل هذه الفارة الجديدة عنوانها القديم « الحروب
الصليبية » وان كانت استئنفا لها ، واندفاعا فى طريقها ، بل
أثرت عناوين أخرى ، وانتهجت أساليب أذكى .

والسبب ظاهر ، فان السلطة فى أقطار الغرب كانت فى أيدي
رجال العلم والصناعة والتقدم المدنى العام ، أما الدين ورجاله
فقد كانوا أدوات تعمل فى خدمة الاستعمار الحديث .

ان الفريقين جمعهما هدف مشترك ، لقد أمسى ما لله وما
لقيصر شيئا واحدا ، هو القضاء على الاسلام وأمته ، والظروف
التي تحيط بالمسلمين تساعد كلها على ادراك هذه الغاية .

فرقة مزقت كل شيء ، وشهوات أذهبت العقول !!

وبعد الحرب العالمية الاولى سقطت الخلافة القائمة فى
« استانبول » ومن قبل ذلك ومن بعد ذلك كانت الدويلات
الاسلامية تقع فى يد الاستعمار العالمى بشقيه الصليبي والشيوعى
حتى جاء حين من الدهر لم يبق فى العالم الاسلامى كله شعب حر
الا ما زهد الاستعمار فى احتوائه لقلة غنائه ...

وتنفست الضغائن الاولى بعد هذا الغلب القاهر ، وشرع
الفاتحون يعملون بتؤدة وثبات كى يمحوا معالم الاسلام فى

المدرسة والمحكمة والبيت والنادى والقرية والمدينة وميادين المد
وميادين اللهو حتى كاد الاسلام يمسى أثرا بعد عين ...

وتنوعت الوسائل بين الرغبة والرغبة فقد تفتح الكنوز
لبعض الخونة ، وقد يساق الموت سوقا الى بعض الباقين على
عقائدهم ...

وكثيرا ما وقعت بين الشعوب مجازر هائلة وراء أسوار من
الصمت المطبق !

ان ضم جزيرة « زنجبار » الى تنجانيقا لتكوين ما سمي بعد
« تنزانيا » جرف في طريقه نحو ثلاثين ألف جثة من المسلمين
الذين لم يبيحهم أحد !..

ومما يستحق الدراسة أن « نيريرى » بطل هذه القصة استقبل
بعد ذلك فى القاهرة استقبال الظافرين ، واحتفى به جمال
عبد الناصر احتفاء كبيرا ...

وعاد « نيريرى » ليسقط حكم عيذى أمين فى أوغندا ، ويقيم
حكما يبيد فيه المسلمين دون رحمة ، وذلك كله دون أن ينبس
أحد بكلمة !..

ومآسى الامة المهزومة فى المشارق والمغرب لا تحصى ! ومع
فداحة المغارم فقد أبى ورثة الاسلام ورجال العقيدة أن يهنوا
أو يستكينوا ، واشتعلت نار المقاومة ، وبقي الرجال الثابتون
على الحق يتنادون فى كل مكان بالثبات حتى تكونت لهم جبهة
صلبة ، وأخذوا يستعيدون أجزاء من خسائرهم ويتحركون نحو
غد أفضل ...

وبدا التفكير الجاد فيما وقع ، لم وقع ؟ ما سر تخلفنا ؟ كيف
تأخرنا وكنا متقدمين ؟ لماذا سبق غيرنا وما سر صعوده ؟؟ ما هى
عللنا الداخلية بدقة ومصارحة ؟

وكان بعض المذهولين منا يتصور أن الاستعمار يتحرك بشهوات مجردة ، وأن البغى من شيم النفوس ! ثم كان قيام اسرائيل على الايمان اليهودى ، واحتضان الاستعمار لها بدوافع صليبية ، كان ذلك كاشفا عن سرائر القوم ، وممزقا الغشاوة عن عيون العميان ، وتبين أن محو الاسلام هدف مقرر ، وخطة مبيتة .

وقد صارحت بعض الكنائس بذلك ووقفت له أجلا معلوما ، وسكتت أخرى تاركة للوقائع أن تتكلم ، ان لم يكن اليوم فغدا .. والشعوب الاسلامية تتميز من الغيظ ، ومواقف الحكومات تحتاج الى تبين ومساءلة !

لكننا نريد قبل تحديد هذه المواقف أن نلخص الاهداف التى رسمها الاستعمار ضدنا ..

من قرون وضع الاستعمار هذه الخطط لتقطيع أوصال الاسلام وأمته ...

أ - تقسيم المسلمين الى شعوب شتى ، ينتمى كل منها الى أرضه وجنسه ، ويكون ولاؤه لقوميته الجديدة وتنتهى الاخوة الاسلامية الجامعة ، ويحيا كل قبيل داخل الحدود السياسية التى رسمت له ، ويشغل بتاريخه ومصالحه عن تاريخ الاسلام ورسالاته العليا ، ويحل نداء أيها المواطنون مكان النداء القديم أيها المسلمون ...

ب - الدويلات التى انشئت فى أرض الاسلام تمنع طوعا أو كرها من تطبيق شرائعها كلها ، وينفذ ذلك فورا فى جميع المجالات وترجأ الى حين شرائع الاسرة حتى تلحق بمشيلاتها فى الوقت المناسب .

ج - توضع مناهج التربية والتعليم تحت رقابة دقيقة حتى يتم انشاء أجيال لا تكثرث للعبادات الفردية أو الاجتماعية

ولا لمعالم الحلال والحرام ، وكما تؤثر تاريخها القومى على التاريخ الاسلامى تؤثر أى لغة أجنبية على لغة القرآن الكريم ...

د - نقل الاخلاق والتقاليد والافكار والفنون الاجنبية وغرسها فى التربة الاسلامية وتهيئة المناخ لها كى تنمو وتزدهر وتغلب مثيلاتها الاسلامية .

هـ - سحق الاقليات الاسلامية حيث كانت ، واهالة التراب عليها ، وتدليل الاقليات الاخرى وتضخيمها ماديا وأديبا حتى تكون نزيفا دائما فى الكيان الاسلامى ...

ولكى يتم تنفيذ هذه المخططات اتفق الاوربيون والامريكيون واصطلحت مذاهب كانت متباغضة ، بل تعاونت ملل ونحل ما كان فى الحسبان أن تتعاون ...

وليست هذه هى المفاجأة ، بل المفاجأة المذهلة أن ناسا من جلدتنا ، يحيون بين ظهرانينا ، ويتكلمون بألسنتنا ، قالوا لرجال الاستعمار : استريحوا أنتم وسنحمل عنكم هذا العبء ! سنتبنى هذه الاهداف ، وندعو اليها كلا أو جزءا ، فاذا وقعت أزمة الحكم بين أصابعنا سخرنا كل شىء لبلوغها جميعا !!.

وهكذا قامت فى دار الاسلام سلطات ناقمة عليه بعيدة عنه ، حولها جماهير سائمة أو نائمة تقاد الى مصارعها فى استسلام وخزى ...

وتمتاز هذه السلطات بأنها أجراً على دين الله من الكافرين به ، أعنى من الاجانب الذين توارثوا الانكار عليه من أجيال وأجيال ...

ومع أن فتكات المستعمرين الاولين كانت ضارية الا أن فتكات سماسرتهم هؤلاء أضرى وأقسى .

ومع ذلك فهم منا ، برغم أنوفنا !! .
الحق ان الاستعماريين السياسى والثقافى صدعا بناء الاسلام ،
وأوقعا به زلزالا مدمرا .

ولما كان الاسلام موضوع الامة الاسلامية وشكلها طول تاريخها
فان الفراغ الناشئ من تقلصه لم يفلح فى سده شئ ! ومن هنا
لم تفقد الامة رسالتها الدينية وحسب بل فقدت كذلك خصائص
انسانية رفيعة !

وتميزت الادارة فى العالم الاسلامى بهذه العيوب :
أ - قلما يوجد فى منصب كبير رجل يناسبه ، ان أوصافا
مادية ونفسية معينة هى التى تجعل أقزاما يحركون الجماهير
ويمثلونهم محليا وعالميا .

ويغلب أن يظفر أصحاب الشهوات المنتصرة بهذه القيادات ،
أما المبدأ الاسلامى « نحن لا نولى أمرنا من يطلبه أو يحرص
عليه » فقد تلاشى واختفى ، وتولى الامور من يشبع بها تهمته
ويدعم بها سطوته ...

ب - فشت الرشوة ، وضروب الاستغلال الآثم ، وأمسى
التطلع الى زيادات فوق الرواتب المقررة خلقا عاما !

ج - كثرت الوظائف ، وصار لجهازها ضجيج هائل ، وقل
نتاجها حتى ضعفت الثقة بنا فى كل ميدان ، وصار العمل
الحكومى مضرب المثل فى الاسترخاء والفوضى ...

د - مع كثرة العوائق الموضوعية عمدا أمام تيار العقيدة
الدينية تبخرت الفضائل ، وولدت حركات الاصلاح ميتة ، ولم
ينجح انقلاب ثورى فى تحقيق خير بل يجزم أولو الالباب بأن
ملكيات بالية تلتصق بالاسلام على نحو ما كانت أبرك على الشعوب
من الانظمة الحديثة المجافية للدين ، المخاصمة لمثله ...

على أن من الانصاف القول بأن الحكومات والشعوب الاسلامية ليست سواء فى هذا البلاء وأن رجالا كثيرين لهم شرف نفس وفضل ايمان لم يخنهم شرفهم ولا ايمانهم فى أزمات محرّجة .

فهناك زعماء قوميون قبلوا « القومية » أمرا واقعا ، الا أنهم قرّنها بالاسلام ، وأبوا أن تتحرك بعيدة عن الدين ، واحترموا اللغة العربية وجعلوها أساس التعليم والاعلام .

وفى أماكن كثيرة وجد من يحرس على صلاته وصيامه ، ويحامى عن شعائر دينه ويفضّ لما يمسها ، ووجد كذلك من يحتقر الخمر والتهتك ، ويأبى قبول السكارى والزنا ويرفض التعامل معهم .

نعم ، ان بقايا الاسلام فى نفوس شريفة محافظة ظلت متقدمة فى هذا الظلام ، وحرصت فى أماكنها أن تسدى للناس الخير ، وأن تمهد للاسلام بين الاجيال المقبلة ، بيد أن الاسلام ليس نزعة خاصة لدى فرد أو أفراد ، ومؤمن آل فرعون لا يضيفى صفة الايمان على حكم الفراعنة ...

ان للحكم الاسلامى معالم لا بد من توفرها ، نذكر منها ما يلى :
أ - فلسفة هذا الحكم - فى مقابلة أسس الحكم الاخرى -
الايمان بالله ولقائه ، وذكره بأسمائه الحسنى ، واعلاء كلمته فى كل ساحة ...

ب - اقامة السلوكين الخاص والعام على الربانية والطاعة والتقوى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واقام الصلاة وايتام الزكاة ... الخ

ج - سحق الجبروت السياسى واستقذار شهوة الاستعلاء والتحكم وبناء الدولة على الشورى وشتى الحريات .

د - احترام المال العام ومطاردة غاصبيه ومراقبة سيره
فى أرجاء المجتمع ضمانا لعدل اجتماعى شامل ...

هـ - تنشئة الاجيال على الاخلاق والقيم الاسلامية ،
وربطها بالكتاب والسنة والتراث وباللغة العربية وآدابها ،
وبالتاريخ الاسلامى كله .

وتهيئة كل أسباب التمكين فى الارض ، ومواكبة المسلمين
لغيرهم من الامم ، بل التفوق عليهم فى كل ما يصون رسالة الامة
ويدعم مكانتها المادية والحضارية .

ان المعالم التى تعرف لامتنا ليست من نسج الخيال ، فهى من
الناحية النظرية مقررة فى أصول ديننا التى تأذن الله بحفظها
الى آخر الدهر ، وهى من الناحية العملية حصيلة تاريخ طويل ،
تميزت به دولة الاسلام خلال ألف عام ...

ولما كنا نؤرخ لبشر لا للملائكة فانا نذكر - دون خجل - ان هذه
المعالم تأرجحت نسبتها بين عصر وعصر ، وان هناك حكاما
فرطوا ، وآخرين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وتبع ذلك ان الامة تعرضت للهزيمة والنصر والانهيـار
والازدهار !

واذا كان قدرنا نحن المسلمين المعاصرين اننا ولدنا فى أيام
عجاف فان ذلك يفرض علينا واجبات معينة ويحدد طريق الكفاح
الذى كتب علينا ...

وحكام المسلمين فى هذه السنين فريقان : فريق وفى لدينه
يعرف واجبه ، ويجعل سياسته مراحل متصلة لتحقيق هذا
الواجب !

وعلىنا أن نحترم هذا الفريق ونعاونه حتى يبلغ غايته .

و ثم فريق آخر ، نسى أو تناسى ماضينا وحاضرنا ، وديننا
وتاريخنا ، أهمته نفسه ومآربه فهو لا يحس ما وراءهما وهو
يبغى البقاء فى سلطانه على أى نحو ، وهو لا يدرى ما الكتاب
ولا الايمان ! كل ما يعرفه ان يلتحق باحدى الجبهتين الحاكميتين
للعالم ، الشيوعية أو الصليبية !

وهو يحسب انه بذلك يعيش عصره ! ويفر من التخلف
القديم ...

هذا الفريق صنفان ، صنف جاهل بالاسلام ، وان ولد على
أرضه ، وربما لو عرفه معرفة سليمة أخلص له وحكم به ،
والغريب انه يعرف غيره ويواليه ...

وجهالته بالاسلام تباعده عنه ، ولكنه كالمصابين بالجنون
الهاديء ، أذاهم بعيد حتى يستشاروا ! ..

ومن هؤلاء من هو نظيف اليد غيور على المصلحة العامة كما
يتصورها ، ويوجد فى العالم الاسلامى وطنيون مخلصون لبلادهم
وأهلهم على هذا النحو الضيق ...

أما الصنف الآخر فهو جاحد للاسلام ، ناظم على أصوله وفروعه
ضائق بالداعين اليه ، كاره للصلاة والعفاف ! « ان تحمل عليه
يلهث أو تتركه يلهث » .

وهذا الصنف المسعور امتداد داخلى للاستعمار الخارجى ، وهو
شاء أو لم يشأ منفذ بالغ السوء لاهداف الصهيونية أو الصليبية
وان زعم انه يخدم العروبة ، ويجدد حياتها ... الواقع انه صانع
أكفانها وهادم كيانها ...

ان العالم الاسلامى بين المحيطين مبتلى بهذه الصنوف كلها ..
وعلى دعاة الاسلام وحماته ألا يروهم ذلك ، فقد يما كان لدعوة

التوحيد خصوم من هذا القبيل . قال الله فى وصفهم :
« واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » .

واذا كنا لا نستغرب وجود هؤلاء فى القديم والحديث ، فاننا
نستغرب اظهار هؤلاء للاسلام ، ومكرهم بأمته ، وانخداع
الغافلين بهم ، حتى أوقعوا الدواهى بيومه وغده !..

ان تجريد القومية من الاسلام ارتداد عن دين الله ، يستوى
فى ذلك أن تكون القومية عربية أو غير عربية !..

وتجريد محمد من النبوة كفر به وبما نزل عليه سواء اعتبر
بعد ذلك من العباقرة أو من العامة !

ومحو الصبغة الاسلامية عن التاريخ الاسلامى ليكون ثورة
عربية بحتة هو أخبث وأحط تزوير عرف فى تاريخ العالم ،
وهو لا يعدو أن يكون تمهيدا لجاهلية حديثة أسوأ من الجاهلية
الاولى ...

اننا بالاسلام وحده ولدنا عالميا ، ومهما ابتغينا العز فى غيره
أذلنا الله !!

وصلنى بعد مدة خطاب أحد القادة العرب فى المؤتمر القطرى
السابع لحزب البعث العربى الاشتراكى ، وكنت وأنا أطلع
صفحاته الاولى أفكر فى النجاح الثقافى والاجتماعى الذى حققه
بنو اسرائيل على أرضنا ، وكيف استطاعوا تذويب الاوطان
والاجناس الاولى للوافدين ، وصهروا ذلك كله فى بوتقة العقيدة
اليهودية المرتكزة على العهد القديم والتلمود !

لقد تعانق اليهود الروس والامريكان ، وتعاون الشماليون
والجنوبيون ، وانضم الهمل من يهود الحبشة الى زملائهم القادمين

من لندن وباريس ! وقرر الجميع تحت راية الدين العتيق أن يسيروا بعزم الى مستقبل صنعت آيات التوراة ، وأيدته الصليبية الحديثة !

فى هذا الجو من الايمان الدينى المحموم رأيت الرجل يتجاهل الاسلام تجاهلا صارخا ، ويسلبه فضائله كلها ليضيفها على الجنس العربى والدم العربى فيقول : « اننا عندما جئنا من الجزيرة العربية كنا نحمل الهمة الغالية والرأى السديد والتصور الواعى والقلب الشجاع ، وكنا مع هذا وقبله نحمل معنا العصبية للمروبة ! والحلم بالقومية ! والدعوة للاتصال العربية (!) » .

هذا ما يقوله قائد عربى مرموق ، أما ما يقوله التاريخ فهو ان العرب خرجوا من جزيرتهم يحملون الاسلام ديننا ودولة ، وعقيدة وشريعة ! ولم يسمع أحد من خليفة راشد أو غير راشد شيئا عن القومية العربية ... ولولا الاسلام لبقى العرب فى أرضهم قبائل وثنية هابطة لا تساوى فى دنيا الناس شيئا ...

ويقول الدكتور عمر دولة الرومان التى هزمها المسلمون باسم الله وحده « انها كانت بالضرورة وبجدلية التاريخ تنتظر قدرها المحتوم على يدى أمة شابة برجالها وبروحها » !!

وأولو الالباب يعرفون أن العرب فى جاهليتهم كانوا أقل وأذل من أن يناوشوا عبيد الرومان ، ولو قادهم ملاعب الاسنة وعنترة بن شداد !! اية جدلية تاريخية يتحدث عنها الخطيب التائه ؟ ولماذا يراد اخفاء دور الاسلام فى هذا المجال وهو وحده صانع المعجزة ؟

ثم يورد الدكتور حقائق عن انجازات اليهود فى بلادنا ، وكيف غيروا الارض والمعالم والاسماء فيقول : « الخطر القادم يزحف مغيرا المعالم والاسماء والصفات ، وكل ما يغتصبه العدو

يهضمه على عجل ، ويلقى عليه طابعه ، فغزة والضفة الغربية لنهر الاردن اسمهما يهوذا والسامرة ! بئر السبع اسمها بئر شيفع ، القدس اسمها أورشليم ، حتى البقرة الشامية المعروفة تصور للعالم على أنها بقرة اسرائيلية ...

وهذا الذى يذكره الخطيب البعثى صحيح ! لكن لماذا ينسى اثر العقيدة اليهودية البارز وراء هذه الانجازات ؟ ان العقيدة الدينية الهاجمة لا تردّها الا عقيدة دينية مدافعة .

وطمس الاسلام فى هذه المعركة يعنى تجريد العرب من كل شىء ، ما قيمة جسم فقد روحه ؟ ما قيمة طائرة فقدت وقودها ؟ لذلك لا نجد جوابا لاسئلته بعد ذلك وهو يخاطب العرب بعثيين أو قوميين ، ماذا أعددتكم لملكمة يهوذا الراكبة على ظهر « الامبريالية » العالمية ؟ ماذا أعددتكم محليا وعربيا وعالميا ؟

اننا نؤكد أن الحكومات العربية يوم تقرر اطراح الاسلام والارتداد عن مناهجه فلن تغلبها اسرائيل فقط ، بل ستغلبها الهوام والحشرات !!.

وفى غليان حماسى لترك الاسلام والاجهاز عليه يقول ذلك الزعيم العربى « ان لنا نظريتنا التى نعتصم بها ونتعصب لها وسننتصر بها » ! ليكون الولاء أولا وأخيرا للحزب ، للقومية العربية !! لتسقط الآن والى الابد كل الولاءات الاخرى الهيجينة والدخيلة والمتقوقة !

لقد انتصرت ألمانيا بتعصبها للعقل الالمانى والانسان الالمانى والشعب الالمانى ، برغم كل الويلات التى أصابتها من أعظم الشعوب الغربية حضارة !

ثم يقول أيها الرفاق : « ستالين أنهى عشرة ملايين انسان فى سبيل الثورة الشيوعية ، واضعا فى حسابه أمرا واحدا هو

التعصب للحزب ونظرية الحزب ! ولو ان لينين كان فى موقع
وزمان ستالين لفعل مثله ! فالامم التى تريد أن تعيش وتبقى
تحتاج الى رجل متعصب ، الى حزب ونظرية متعصبة !

« ماوتسى تونج » قاد الصين نحو الخلاص والخلود متمسكا
بشعار واحد هو الحزب المتعصب ، انه لم يحرك الصين كما يتوهم
البعض ، انه « صين » الماركسية أو عبر بماركسية جديدة من
صنع الصين ، الى الجانب الآخر ليلاقى بها العالم ويكسب من
خلالها الاحترام والهيبة ...

والمفروض بداهة أن يحتذى البعث الاشتراكى العربى بهذه
النماذج التى ساقها الزعيم السابق ، لينقل العرب الى عالم جديد
مبتوت الصلة بالاسلام وتاريخه ووصاياه وتعاليمه ، ولترتخص
فى سبيل ذلك الالوف من القتلى والهلكى ، فالثمن سهل مهما
فدح اذا كان سيحقق الاشتراكية والاحاد باسم العروبة !!

ان للاسلام ماضيا طويلا مشحونا بالآلام ، بيد أن ما يواجهه
اليوم من بعض الحاكمين فى أمته لا نظير له ، انه انسلاخ وقاح
عن عقائده ، وكفر صراح بكل ما جاء به ...

وفى أماكن شتى من دار الاسلام نجد هذا التبجح فى الخروج
عليه ، والتنكر لاوامره ، ولا أحسب أعداء الاسلام يطلبون غير
هذا ...

ان ديننا يترنح فى هذا العصر وهو يحمل ضغن بعض
الطوائف ، وطمع بعض العوائل ، وقصور بعض الفقهاء
المتحدثين عنه وهم تائهون ..!

من حق المسلمين أن يختاروا من يمثلهم ومن يترجم عن
نياتهم وأمانيتهم ومن يدافع عن حقوقهم وحدودهم ومن يشاركهم
أحزانهم وأفراحهم ، أما أن يفرض عليهم حاكمون يرضى عنهم

الشرق أو الغرب ولا يرضى عنهم الله أبداً ، فهذا ما لا يمكن قبوله ...

ومن ثم فكل حكم يبعد الاسلام عن دستوره أو يذكر الاسلام ذرا للرماد فى العيون ثم يمضى شارداً عن صراطه بعيداً عن هداة فهو حكم فقد شرعيته ، لانه فاقد لرضوان الله وتأيد الناس ... ان أضعف نقطة فى العالم الاسلامى هى حكوماته ولا يساويها فى الضعف الا عجز الشعوب عن التغيير المطلوب .

وأجدنى مضطراً الى تكرار الحديث عن الاسلاميين الذين يطول هتافهم للاسلام ولا يقدرّون على اسداء يد معقولة له !! ان نصف هزائم الاسلام ترجع الى رداءة خططهم وضحالة فقههم وغرورهم بأنفسهم ...

فى تنقلى بين أرجاء العالم الاسلامى سمعت نواح باكين على الاسلام ، فلما استكشفت ما حولهم وجدت عوجاً يتطلب التقويم ! قلت لهم : لماذا لا تصلحون هذا ؟ .. فلم أتبين اجابة شافية ! انهم سلبيون يشرثون بالنقد ولا يتحركون للبناء يحسنون مضغ قضايا بالية ولا يبصرون ما جد من أحداث ...

وتذكرت بيعة العقبة الاولى والاسلام سجين فى مكة ، وجبايرتها يبعثرون الفتن بين المسلمين ، ان صاحب الرسالة العظمى لم يطلب من المبايعين أكثر من صدق الايمان وحسن العمل وسرعة الانابة الى الله ان وقعوا فى خطأ ، حتى ان بعض كتاب السيرة سماها خطأ بيعة النساء ! كلا ، انها بيعة الرجال ، ولكن الفارق ضخم بين العاملين لدين والعاملين فى حزب سياسى !!

ان العاملين لله يبدءون الطريق من اصلاح أنفسهم وما حولهم ، فاذا أصبح اصلاح ملكة فيهم وسجية لا تنفصل مكن

الله لهم فأصلحوا الارض لانهم لا يستطيعون الا هذا الاصلاح
الذى عاشوا به وعاشوا له ، أما غيرهم فدورانه حول نفسه
ودنياه وان زعم غير ذلك .

فى هذه الايام وقع حادثان غريبان لهما دلالة بعيدة ووقع
موجع !

فان القائد الصليبيى الثائر فى جنوب السودان طلب من
الحكومة المركزية فى الخرطوم أن تلغى الشريعة الاسلامية فورا ،
وأن تبعد عن الحكم كل اثاره للاسلام !

ونكرر ما قلناه مرارا أن الصليبيين فى جنوب السودان هم
عشر السكان فحسب ! وانهم فى شمال السودان قلة أندر ..!

ومع ذلك فان الجراءة على الاسلام وشرائعه بلغت هذا الحد
المزرى ...

اليوم لا شريعة ، وغدا لا عقيدة ، وعفاء على الاسلام كله ،
وليهنأ الحاكمون باسم الاسلام أن الدولة لهم وأن مناصبها
بأيديهم ..!

أما الحادث الثانى فان « نيجريا » تقدمت بطلب الى المؤتمر
الاسلامى كى تكون عضوا فيه ، وتسعة أعشار نيجريا مسلمون ،
والعشر الباقيى قسمة عادلة بين النصرانية والوثنية ، والطلب
المعروض طبيعى لا غرابة فيه ! غير أن الناس فوجئوا بصخب
واعتراض من اتباع الكنيسة وتعالى الصيحات ألا تنضم نيجريا
الى المؤتمر حفاظا على قوميتها (!) والموقف الآن مائع ، ولا يدرى
أينضم القطر المسلم الى سائر الاقطار الاسلامية أم يقيد به الخور
فيفقى فى عزلته ؟

قال لى صديق : انك تعرف أن النماذج التى قدمت للحكم الاسلامى رديئة ، وانها أساءت لشريعة الله ، وانها كانت ستارا لاهواء فردية مقبوحة .

قلت : ليكن الحاكم الذى نفذ بعض شرائع الاسلام فى خبائة الحاكم السابق للفلبين الذى خرج مطرودا من بلاده ، بعدما استولى على « مليارات » من الدولارات اذلك اعتبر ذريعة لان تترك الفلبين دينها ؟ وهل نادى أحد بذلك ؟

ان الجراءة على الاسلام وحده هى التى أنطقت بعض الاقليات الدينية باعتراض الشريعة ورفض تطبيقها .

ثم أليس مما يثير الضحك أن يكون الانتماء الافريقى أحظى لدى البعض من الانتماء الى الاسلام ؟ ولم لا ؟ ان القومية الافريقية قدمت للعلم والفلسفة والحضارة أيادى بيضاء لم يقدم الاسلام مثلها ، ومن هنا حق للمسلمين أن ينجلوا من دينهم وان يؤثروا الانتماء الافريقى على الانتماء الاسلامى ! ومن أجل ذلك غضب الصليبيون لاتجاه نيجريا الى المؤتمر الاسلامى تشترك فى عضويته مع أمثالها ! واذا لم تستح فاصنع ما شئت .

ان الحملات على الاسلام تنمو وتضرى ورجالها يحسبون الفرصة سانحة للقضاء على ديننا واجتثاث جذوره ، والدول الكبيرة التى كانت قديما تتظاهر بالحياة فى قضايا الاديان شرعت الآن تعلن تبرمها بالاسلام وصحته وشريعته والانتساب اليه ..

وبلوغ العدوان على الاسلام هذه المرحلة يضاعف العبء على الحاكمين باسمه أو لعله يواجههم بواجباتهم التى لا مهرب منها .

ونحن نصارع بأمور محددة : ان طاعة أبناء الاديان الاخرى فى اطراح الاسلام كلا أو بعضا هو ارتداد لا ريب فيه ، كما أن

ترجيح الولاء العربى أو الافريقى على الانتماء الاسلامى ،
وادارة ظهورنا لاخوان العقيدة كفر لا مراء فيه ...

واذا كان هناك من يرفع شعار الحكم بما أنزل الله قناعا لسرقة
الشعوب أو قهرها فان الاسلام برىء منه « **يغادعون الله والذين
آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون** » .

والاسلام قبل أن يكون حفنة من الحدود والعقوبات المقررة دين
ينشئ الامم على الايمان والعدالة والحقوق المصونة والامانات
المرعية ...

اننا عندما نفرد الله بالعبودية تغلق الطرق كلها أمام أى
مستبذ يريد أن يستعبد الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ،
وأمام أى مصاب بجنون العظمة يريد اكراه الناس على قبوله
رئيسا ، وهم عنه راغبون !

وظاهر أن الامم الاسلامية تبتغى من أعماق القلوب أن تساس
بشريعتها ! وان الذين يلوون زمامها كرها هم أعداء الشعوب ،
هم أعداء الجماهير !

أى أنهم بالمنطق السياسى المعاصر لا يمثلون أممهم وهم قبل
ذلك وبعده ليسوا من الله فى شىء .



